المبحث الثاني

قضية القدماء والمحدثين

إن هذه القضية ليست جديدة إذ (لم يخلُ عصر أدبي في حياة الأمم التي كان لها نصيب من الأدب وحظ في إتقان القول وإجادته من هذه القضية) (١).

إذ (إن الخلاف قد وقع بالفعل في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة بين أنصار الجاهليين والإسلاميين...، ثم ظهر الخلاف في منتصف القرن الثاني بين أنصار العرب الجاهليين وإسلاميين وأنصار المحدثين. أي ظهر الخلاف حول بشار وتلاميذه ومن كان ينتصر لهم من الأدباء وبين امرئ القيس وتلاميذه) (٢).

(ثم ظهر الخلاف في القرن الثالث بين الذين كانوا ينتصرون للبحتري وأبي تمام والذين كانوا ينتصرون لأبي نواس ومسلم، ثم ظهر الخلاف في القرن الرابع بين الذين كانوا ينتصرون للمتنبي والذين كانوا ينتصرون لأبي تمام) (٣).

نرى من ذلك أن كل هذا العصر الذهبي عند العرب كان مملوءاً بالاختلاف بين القدماء والمحدثين، وذلك لانقسام الناس على فئتين تميل إحداهما إلى القديم، وتجد فيه لذاتها، وأنسها، وتميل الأخرى إلى الجديد لأنه يعبر عن نفسيتها ومشاعرها وبيئتها التي تعيش فيها، وفي عصرنا نلمس هذا الصراع ماثلاً أمام أعيننا في مناحي الحياة كلها الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها.

إن حديثنا هنا ينصب على الأدب فإنه سيكون عن بدء الخصومة بين القديم والجديد في الأدب العربي وخاصة الشعر لكونه الفن الأول لدى العرب وكما روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله: (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين) (٤)، فهو ديوانها وسجل مآثرها وأيامها.

ماذا نعني بالقديم والجديد؟

لقد حدد العلماء بداية القديم بنضج الشعر العربي قبل الإسلام بقرن ونصف تقريباً ونهايته في أوائل القرن الثاني للهجرة(٥).

---

(١) حديث الأربعاء: طه حسين، دار المعارف مصر د.ت: ج٢/ ٣.
(٢) المصدر نفسه: ج٢ / ٦.
(٣) المصدر نفسه: ج٢ / ٧.
(٤) ينظر: العمدة، ابن رشيق: ٣٠، وهذا حديث موضوع لا أصل لهُ.
(٥) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري طه إبراهيم : ٨٧.

كما يشير إلى ذلك القاضي الجرجاني إذ قال:- (ولا يرى الشعر إلى القديم الجاهلي وما سلك به ذلك المنهج وأجرى على تلك الطريقة ويزعم أن ساقة الشعراء رؤبة، وابن هرمة، وابن ميادة، والحكم الخضري، فإذا انتهى إلى من بعدهم، كبشار وأبي نواس وطبقتهم، ولهذا سمي شعرهم ملحاً وطرفاً، واستحسن منه البيت استحسان النادرة، وأجراه مجرى الفكاهة) (١).

ومن هنا ندرك أن القديم ينتهي عند ابن هرمة الذي يعد من أنصار القديم آخر سلسلة القدماء وهذا يعني أن القديم يشمل الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي.

كما يوجد من تعصَّب للقديم وقصره على الشعر الجاهلي فحسب الذي كان مصدراً للاحتجاج به على لغة العرب(٢).

كما يروي ابن رشيق عن الأصمعي: (أنه قال عن أبي عمرو بن العلاء جلست إليه ثماني حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامي) (٣).

أما مفهوم الجديد فبتحديد نهاية القديم يبدأ الجديد، وكان بشار بن برد (ت ١٦٧ هـ) إعلاناً ببدء الشعر الجديد (المحدث).

يقول طه إبراهيم: (أما عصر المحدثين فبدؤه قبيل قيام الدولة العباسية بدؤه في الواقع من عهد بشار، ومروان بن أبي حفصة، ومطيع بن إياس وغيرهم من مخضرمي الدولتين، ويشمل كل من جاء بعدهم من الشعراء الذين كتبوا باللسان العربي إلى اليوم) (٤).

نفهم من هذا أن الشعر المحدث لم ينته عصره، لكن الواقع يقول إن مفهوم القديم والجديد أمر نسبي لا يمكن تحديده بسهولة، فنحن اليوم نرى شعر شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهم قديماً والشعر الحر أو قصيدة النثر شيئاً جديداً.

ولقد فطن ابن رشيق لهذه القضية – نسبة القديم والجديد – فقال: (كل قديم من الشعراء محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله) (٥)

ويعلق على قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفتَ الدار بعد توهمِ(٦)

بقوله: (يدل على أنه كان يعدُّ نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه، ولم يغادروا له شيئاً) (٧).

---

(١) الوساطة: ٥٢.
(٢) من قضايا النقد القديم الخصومة بين القدماء والمحدثين، بحث منشور في مجلة آداب المغربية خ. ك. ظ. : ١٠.
(٣) العمدة:ج١/ ٩٠. وفي رواية (عشر حجج).
(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه إبراهيم : ٨٩.
(٥) العمدة: ابن رشيق: ج١/ ٩٠.
(٦) ديوان عنترة بن شداد ضمن شرح الأشعار الستة الجاهلية: البطليوسي: القسم الثاني، دار الشؤون الثقافية – بغداد ٢٠٠٠م: ١٢.
(٧) العمدة: ج١/ ٩١.

ومن هذا نجد أن المتعصبين للقديم هم الرواة واللغويون لارتباطه بمهنتهم، وقد خصهم ابن رشيق في حديثه على تقليلهم وتقبيحهم للجديد فقال: (هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي وابن الأعرابي أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم) (١).

ولو نظرنا في تاريخ الأدب وكتبه لوجدنا أنها توحي بآخرين غير أولئك يشدهم القديم ويطربون له ولذا وجد شعراء ونقاد من أصحاب الذوق الأدبي الرفيع يقفون وراء القديم ويشدون من أزره.

أما اتصال الشعر القديم بالدين:

فقد كان هذا السبب الأكبر في الانتصار للقديم، إذ كانت حاجة الرواة واللغويين للشاهد في تفسير لفظة في آية أو حديث يدعم أقوالهم ويؤكدها.

كما يوضح ابن رشيق أن تعصب هؤلاء كان لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون(٢).

الوقوف ضد تيار الشعوبية:

كما هو معلوم ان اغلب الشعراء المحدثين كانوا هجناً ليسوا عرباً أقحاحاً، وقد هاجموا القديم، وعابوه، وثاروا على طرائقه، فوقف أنصار القديم ضدهم وأعجبوا بالقدماء دون غيرهم لأن هؤلاء كانوا عرباً أقحاحاً لم يقولوا الشعر إلا بسليقة عربية صميمة في حين أن عدداً كبيراً من المحدثين كانوا من أصل غير عربي.

ارتباط الشعر بالخلفاء والوزراء:

كان الخلفاء والوزراء يدنون الرواة واللغويين ويقدمونهم على غيرهم، فهم إما كتاب لديهم وإما مؤدبون لأولادهم، ولذا قدس الرواة واللغويون الشعر القديم.

ويرى عثمان موافي أن السبب (في ذلك يرجع إلى ناحيتين: أولاهما: شيوع الكتابة الديوانية، وثانيهما: انتشار المؤدبين في قصور الخلفاء العباسيين واعتمادهم في التأدب على الشعر القديم وكان معظمهم من اللغويين) (٣).

---

(١) المصدر نفسه: ج١ / ٩١.
(٢) ينظر: العمدة: ج١ / ٩١.
(٣) الخصومة بين القدماء والمحدثين: عثمان موافي: ٢٧-٢٨.

خروج المحدثين على عمود الشعر: -

رأى أنصار القديم في الشعر المحدث شعراً خالف ما تعارف عليه العرب قديماً، وسمي فيما بعد عمود الشعر الذي حدده القاضي الجرجاني بقوله: (وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض) (١).

ويأتي عمود الشعر القديم بالتجنيس والمطابقة والبديع والاستعارة عن طبع وفطره في الإحساس باللغة وليس عن صناعة وقصد أو إعمال فكر وطول تأمل، وما يأتي به الطبع يتصف بالمباشرة بعيداً عن الغموض، داخلا عندهم في السهل الممتنع، وهذا ما يكشف عنه أسلوب الأبيات أو النمط الشعري القديم الذي نسبه لبعض العرب مستوحياً منه طريقة العرب أو عمود شعرها ذلك الأسلوب أو النمط الذي يراه: بعيداً عن الصنعة، فارغ الألفاظ سهل المآخذ قريب المتناول(٢) من مثل:

أقُــولُ لِصَــاحِبي والعِــيْس تَهْــوي بِنَــــا بَـــينَ المُنيفَـــةِ فالضُـــمارِ

تَمَتَـــعْ مِـــنْ شَـــمِيم عَـــرارِ نَجْـــدٍ فَمَـــا بَعْـــدَ العَشِـــيَّةِ مِـــنْ عَـــرَارِ

ألا يَـــا حَبـــذَا نَفَحَـــاتُ نَجـــدٍ ورَيَّـــا رَوضـــهِ غِـــبَّ القطـــارِ(٣)

و هذا التحديد لعمود الشعر يقودنا إلى أمور كانت مثار سخط أنصار القديم على الشعر المحدث الذين رأوا في القديم محافظة عليها، وفي المحدث خروجاً عليها.

---

(١) الوساطة: ٣٨.
(٢) مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق، د. رحمن غركان، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤: ١٠٨-١٠٩.
(٣) ديوان الحماسة: ج٣/ ٢١٤، ونسبها البعض للصمة بن عبد الله القشيري.

اتخاذ أنصار القديم الزمن مقياسا لجودة الشعر:

كان احتكام هؤلاء النقاد المتعصبين للقديم في تقويم الشعر إلى الزمن قبل أن يكون إلى الفن وأصوله أو إلى الشعر ومقاييسه يعد فساداً في الذوق وميلاً عن جادة الصواب، واتباعاً للهوى ولذا فقد كانوا يعجبون بالشعر عند سماعه أول مرة، فإن علموا أنه محدث ردوه وعابوه.

يقول ابن قتيبة: (فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلَّا أنه قيل في زمانه) (١).

وهنا يثار سؤال مهم جدا هل يتعصب النقاد للشعر القديم على أساس فني؟

من الواضح أن أنصار القديم نتيجة تحمسهم وتعصبهم له يريدونه المثل الأعلى، ويريدونه الأحسن فينظرون للمحدث نظرة ازدراء وتقبيح، وأنه متكلف لا طبع فيه.

إذ نجد القاضي الجرجاني يقول: (وما أكثر من ترى وتسمع من حفاظ اللغة ومن جلة الرواة من يلهج بعيب المتأخرين فإن أحدهم ينشد البيت

فيستحسنه ويستجيده ويعجب منه ويختاره فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه، كذب نفسه ونقض قوله ورأى تلك الغضاضة أهون محملاً، وأقل مرزأة من تسليم فضيلة المحدث والإقرار بالإحسان لمولد) (٢).

حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال: أنشد الأصمعي:-

هَلْ إلى نَظْرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ ... فيُبَلّ الصَّدَى ويُشفى الغليلُ

إنَّ مَا قلّ مِنكَ يَكْثُرُ عِنْدِي ... وكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقليلُ

فقال: والله هذا الديباج الخسرواني، لمن تنشدني؟

فقلت: إنها لليلتهما فقال: لا جرم والله أن أثر التكلف فيهما ظاهر(٣).

ويقول ابن رشيق: (وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق... وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين) (٤).

فهاتان الروايتان وغيرهما كثير مبثوث في كتب الأدب، تدلان على أن تفضيل المتعصبين للقديم لم يكن قائماً على أسس فنية واضحة معروفة وما ذكرناه من أسباب التعصب للقديم يؤيد هذا.

---

(١) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تح محمد احمد شاكر، دار المعارف:ج١/ ٦٢-٦٣

(٢) الوساطة: ٥٠.

(٣) المصدر نفسه : ٥٠.

(٤) العمدة: ج١/ ٩٠.

وللدكتور عبد الحكيم راضي رأي مفاده (إن هذه القضية هي قضية قديمة جديدة، قديمة لأن في تراثنا النقدي ما يبعث على التساؤل حولها، وجديدة لأن الدارسين في العصر الحديث قد وقفوا عند هذه البواعث، وكثير منهم أطال الوقوف دون أن يتبين الحقيقة، فقالوا فيها بغير ما هي عليه) (١).

و لذلك نجد من الضروري أن نتتبع القضية من بدايتها فنعرض لتصور هؤلاء الدارسين عن موقف النقد العربي من شعر أولئك المحدثين.

ولهذا ذهب الجميع يحشدون النصوص التي تؤيد بأن أولئك النقاد يملكون نزعة محافظة في الشعر العربي، فما داموا قد رفضوا الشعر الحديث، ثم لم يقبلوا منه إلا ما سار على نهج القديم فهم مسؤولون عن كل ما يمكن أن يكون محافظاً في هذا الشعر، و هي نصوص معدودة ترد في جميع الأبحاث بلا استثناء(٢) .

وكان مما يلفت النظر في هذا التصور أنهم وقفوا عند نصوص جزئية لا تعبر عن اتجاهات عامة، وإنما كان الناقد يدلي بالحكم في مناسبة ثم يعدل عنه في أخرى، ومعنى ذلك أن هناك خطأ متصلا في النقد العربي ليس عماده التعصب ضد الحديث وتقديس ما هو قديم، وإنما كان على العكس من هذا يرحب بالجديد ويقبله وينوه به(٣).

والواقع أنه ما لم يؤخذ الاتجاه العام لحركة النقد العربي في الحسبان، فإنه يكون من الصعب فهم أي موقف من مواقف ذلك النقد، إذ إن مجرد الوقوف عند نصوص جزئية لا يكفي، إذ توجد نصوص كثيرة أخرى تنقضها ومن ثم يصبح الاكتفاء بمجرد النصوص غير مجد وهذا ما تبدو صحته من مجرد النظر في محاولات الدارسين في عصرنا الحديث للتدليل على تعصب قدامى النقاد ضد شعر المحدثين في العصر العباسي وضد محاولات التجديد في ذلك الشعر.

فعلى الرغم من اتفاقهم على هذا التصور لموقف أولئك النقاد، فإننا لا نعدم الخلاف بينهم، وعلى سبيل المثال: دعوة أبي نواس وقيمتها، ومدى وقعها على أولئك النقاد و موقفهم منها، أهوجمت؟ أم لم تهاجم؟ هذه أسئلة كلها يطرحها الدكتور عبد الحكيم راضي.

عند الحديث عن قيمتها نجد الدكتور طه حسين يشيد بها ويقول: (إن أبا نواس كان يدعو الناس إلى تغيير القديم، كما يرى في دعوته مذهبا في الصدق الفني) (٤).

أما طه احمد إبراهيم فانه يرى أنها المحاولة الوحيدة في النقد العربي التي استهدفت تجديد الشعر تجديداً حقيقياً وأن أخفقت في النهاية(٥).

ويقلل الدكتور عبد القادر القط من قيمة هذه المحاولة على أساس أنها لا تمثل ثورة فنية على تقاليد الشعر العربي(١).

---

(١) النقد العربي و شعر المحدثين في العصر العباسي: د. عبد الحكيم راضي: دار الشايب للنشر: ط١ ١٩٩٣م: ٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢-١٣.
(٤) حديث الأربعاء: ج٢/ ٩٤.
(٥) ينظر: تاريخ النقد العربي عند العرب: طه احمد إبراهيم: ١٠٣.

هذا عن الاختلاف في قيمتها، أما عن وقعها على أولئك النقاد وموقفهم منها، فنجد الدكتور طه حسين يرى أنها كانت محل سخط لما فيها من هجوم على العرب وهجوم على القديم لأنه عربي.

بينما لا يشير طه احمد إبراهيم إلى أنها كانت عرضة لهجوم خاص من جانب النقاد.

أما الدكتور عبد القادر القط والدكتور محمد مندور فإنهما لا يريان أن أحداً لم يهاجم دعوة أبي نواس هجوما مماثلا لما حدث مع أبي تمام وذلك يعود إلى أنها كانت ضئيلة الأهمية من الوجهة الفنية.

ويرى أحمد أمين أن أنصار القديم هاجموا تلك الدعوة واضطروا أبا نواس إلى الرجوع عن مذهبه في الدعوة إلى الإقلاع عن بكاء الديار ووصف الأطلال في افتتاح القصائد(٢).

بل إنهم يختلفون في نوع المهاجمين لتلك الدعوة، فيشير الدكتور طه حسين إلى تعرض الشعراء المجددين لسخط الأئمة والعلماء من رجال الدين(٣).

في حين يرى أحمد أمين ومحمد مصطفى هدارة أن مصدر الهجوم على أبي نواس كان الرواة وعلماء اللغة(٤).

ويقول الدكتور إبراهيم سلامة: (أن الرواة واللغويين كانوا يسعون إلى كبت كل صوت يرتفع بالتجديد) (٥).

ويوافق الدكتور شكري عياد الدكتور إبراهيم سلامة في هذا، حين يذكر أن أصحاب النقد العربي الخالص ألزموا الشعر المحدث منهج القصيدة التقليدية(٦).

موقف النقد العربي الحديث من شعر المحدثين:

من كل ما تقدم نجد أن الدكتور عبد الحكيم راضي يقول:- (إن الدكتور طه حسين يرى أن ميدان الخصومة كان الشعر، وأنها دارت حول اللفظ والمعنى ولم تتجاوزهما، كما أن مقدار التجديد الذي تحقق نتيجة لتلك الخصومة كان ضئيلا بالقياس إلى التطور الواسع في العصر العباسي، وحين يحاول تعليل تلك الظاهرة يذكر عددا من الأسباب يرى أهمها عدم معرفة الأمة العربية لشيء من الآداب الأجنبية، كما يذكر حرص الأمة العربية على سننها القديمة، ثم ما تتمتع به الآداب العربية القديمة من جاذبية وخلابة...) (٧).

---

(١) حركات التجديد في الشعر العباسي عبد القادر القط، بحث منشور ضمن مجموعة من الدراسات مهداة (إلى طه حسين في عيد ميلاه السبعين): ٤١٨.
(٢) جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي، بحث منشور في مجلة الثقافة، العدد ١٩ مايو ١٩٣٩: ١٧.
(٣) ينظر: حديث الأربعاء: ج٢/ ١٠.
(٤) جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي: ١٨، وينظر: مشكلة السرقات: ٢١٠
(٥) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان: ٣٠٦.
(٦) ينظر: كتاب أرسطو طاليس في الشعر: ٢٢٩.
(٧) النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي: ٤٨.

ومن هذا فإنه يرى أن مقاومة العبث بالدين مقاومة للتجديد، ولهذا فقد خالف الدكتور عبد الحكيم راضي هذا التصور إذ قال: (كما أننا لا نرى ضرورة توافر شرط الخروج على الدين في كل من يريد أن يكون مجددا، وبالتالي لا نرى فيما ذكره من ضرب بشار حتى الموت أو حبس أبي نواس مقاومة لروح الجديد، وتعصباً للقديم... وبالتالي فلا داعي للربط بين أمور هي أشد ما تكون تباعدا، أعني الضرب على أيدي الماجنين ومقاومة التجديد في الشعر) [١].

كما نجد الدكتور طه حسين يعدل عن هذا الرأي، حين ذكر عددا من أئمة الدين والمحدثين قد رووا عن أبي نواس، وان أبا نواس قد روى عن عدد منهم، كما أن الدكتور طه حسين يرى أن ابا نواس يصور خير تصوير الحياة العباسية بلهوها وجدها أيضا[٢]، وهذا ما وافق عليه الدكتور عبد الحكيم راضي.

ثم يعود الدكتور طه حسين مرة ثانية ويعرض عن هذا الرأي حين يقرر أنه بانقضاء القرن الأول للهجرة ظهر انتصار الجديد وأخذ القديم ينهزم أمامه مما أدى إلى تغير حس العرب وشعورهم، ومن ثَمَّ تغير لسان الحس والشعور وهو الأدب نثرا وشعرا[٣].

وكذلك نجده يصرح: (أن أبا نواس كان أشد الناس إلحاحاً في تغيير الأسلوب الشعري وتجديد اللفظ والمعنى، ونفهم أنه لم يكن وحده مغيراً، وإنما كان الشعراء المعاصرون له يغيرون الأسلوب الشعري ويجددون اللفظ والمعنى أيضا كان منهم من يعترف بهذا التغيير، ويرى أنه مشروع، فيمضي فيه ويحرص عليه... ومنهم من ينكر هذا التغيير ويتكلف الفرار منه) [٤].

ويقول الدكتور شوقي ضيف في هذا المجال: (فلا شك في أنّ إهدار اللغويين لشعر العباسيين بسبب حداثته خطأ في التقويم، إذ الجودة الفنية لا تقاس بالقدم والحداثة) [٥].

وترى الدكتورة هند حسين طه أن الخصومة قد اشتدت (وكان هذا بالضرورة موضع اختلاف بين النقاد في أيهما أحسن، الشعر القديم بقوته وجزالته ووضوحه وطبعه، أم الشعر الحديث الذي هو في كثير من الأحيان غير ذلك، وكان اللغويون والنحويون في مقدمة المتعصبين للشعر القديم لأنه العنصر البارز في ثقافاتهم، ولأنهم كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الأعراب، وقد يأخذونها من البادية، ولذلك كانوا لا يحفلون بشعر المحدثين، لبعده عن أذواقهم وعد الفهم له، ولذلك رفضوا المولدين كافة سواء أكانوا من الفحول أم من عامة الشعراء) [٦].

---

(١) النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي: ٤٨-٤٩.
(٢) ينظر: حديث الأربعاء: ج٢/ ٤٤-٤٥.
(٣) ينظر: المصدر نفسه:ج٢/ ٤٥
(٤) المصدر نفسه: ج٢ / ٩٦.
(٥) العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦، ط٨: ١٤١.
(٦) النظرية النقدية عند العرب، د. هند طه حسين، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٨١م: ٢١٠-٢١١.

ومن هذا نجد الدكتور عبد الحكيم راضي يرى أن البيئة من حول الشاعر الثائر كانت معترفة بالجديد بقبولها له وإن لم تعترف به عن طريق الإعلان(١).

ومع هذا يصر الدكتور طه حسين على القول بأن هناك من هاجموا الجديد ومن قاموا بالدعوة إليه.

ويبدو واضحاً أن الدكتور طه حسين لم يطلع على جميع النصوص بهذا الخصوص فهناك من النصوص ما تثبت بان هؤلاء الأئمة والرواة واللغويين الذين يقول عنهم أنهم هاجموا الحديث قد تراجعوا فيما بعد عن مثل هذا الاقوال لا بل انهم رووا عنهم الأشعار، فهذا ابو عمرو بن العلاء يوازن بين شاعرين إسلاميين، وقدم أحدهما على الآخر (فقد سئل عن الراعي النميري وأبي حية النميري، فقال: الراعي أكبرهما قدراً وأقدمهما) (٢).

كما روي عن الأصمعي قال: (سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول لقيت الفرزدق في المربد فقلت يا أبا فراس، أحدثت شيئا: فقال خذ ثم أنشدني:

كم دون ميّة من مستعملٍ قذفٍ ومن فَلاة تُستودَع العِيسُ

قال: قلت سبحان الله هذا للمتلمس) (٣).

وقد تجاوز أبو عمرو بن العلاء بالنقد الشعراء الإسلاميين إلى المحدثين (فقد سئل من أبدع الناس بيتاً، فقال: الذي يقول:-

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفي عني الكرى طيفٌ ألم

وفي الخبر نفسه سئل من أغزل الناس بيتاً، قال: الذي يقول:-

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

والبيتان لبشار بن برد) (٤).

ونذكر هنا بعض نماذج من دراسات المعذبين المعاصرين، تقوم في جوهرها على اتهام الرواة والنقاد اللغويين بالتعصب ضد شعر الشعراء المحدثين، وهذه تقوم على قراءة أحادية الجانب لقليل من النصوص القديمة التي تنسب إلى قدامى النقاد من أمثال أبي عمر بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وخلف الأحمر (١٨٠ هـ)، والأصمعي (٢١٥ هـ) وابن الإعرابي (٣٢١هـ).

---

(١) ينظر: النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي: ٥٠.

(٢) الموشح: أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، ت على محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م: ٣٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٦.

(٤) النقد والتجديد في الشعر العباسي بين التعصب والواقع: مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٧ العدد الثالث، ٢٠١١م الدكتور حسين علي الزعبي: ٨٨. وينظر ديوان بشار تحقيق الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة: ج٤/ ١٨٧-١٨٨.

أما ابن الأعرابي فقد قال: (إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره مثل الريحان يشم يوماً ويذوي، ثم يرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر، كلما حركته أزداد طيبا) (١).

هذا النص والنصوص الأخرى التي مر ذكرها تبرز مسألتين نقديتين سلبيتين أظهرهما قدامى النقاد في شعر المحدثين: الأولى قضية التفاوت الشعري، والثانية سرعة زوال أثر هذه الأشعار عند المتلقين.

وفي حقيقة الأمر لا تشكل هذه النصوص قراءة كاملة دقيقة تعبر عن مواقف قدامى النقاد اللغويين تجاه الشعر المحدث.

فقد ورد أن أبا عمرو بن العلاء لا يعد الشعر إلا للشعراء الجاهليين، وفي حقيقة الأمر كان يتابع أشعار الإسلاميين. وهو يحكم حكماً إجماليا على

شعر الإسلاميين ويصفه بالحسن إذ يقول: (لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته، يعني بذلك شعر جرير و الفرزدق، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين) (٢).

وهكذا نرى من خلال ما تقدم من نصوص نقدية أن أبا عمرو بن العلاء لم يتوقف عند أشعار الجاهليين في الرواية والنقد وإنما تجاوز ذلك إلى أشعار الإسلاميين،بل قدم أول الشعراء المحدثين ورأسهم بشار بن برد في غرض الغزل على كل الشعراء. أما الأصمعي فقد ختم الشعر بابن هرمة إذ قال:(ختم الشعر بابن هرمة، فإنه مدح ملوك بني مروان، وبقى إلى آخر أيام المنصور) (٣).

وهو في الوقت نفسه الذي يصرح فيه بذلك، نراه يتابع أشعار المحدثين، ويشيد ببعضهم فهو يوازن بين شاعرين محدثين مقدماً أحدهما على الآخر،... إذ قال: (بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح إلا لأحدهما) (٤).

وكذلك أعلن الأصمعي إعجابه بشعر أبي نواس، فقد روى أن الوزير الفضل أبن يحيى طرب إلى مذاكرته... ومما قاله الأصمعي في أثناء هذه المذاكرة فلم أتمالك أن قلت: قاتل الله أبا نواس إذ قال:

إذا ما أتت دون اللّهاةِ من الفتى دعا هَمُّه من صدره برحيلِ(٥)

فقال الفضل: هذا البيت له؟ قلت نعم يا سيدي قال وليس إلا هذا البيت الواحد، قلت أعز الله الوزير هي أبيات، قال هاتها فأنشدته إلى قول:

ألم تر أن المال عونٌ على النَّدى وليس جوادٌ مُعْدِمٌ كبخيلِ(١)

---

(١) الموشح، ٣٤٨.
(٢) العمدة: ج١: ٩٠.
(٣) طبقات الشعراء لأبن المعتز: ٢٠.
(٤) الموشح: ٣٩٢.
(٥) ديوان أبي نواس حققه وضبطه وشرحه احمد عبد المجيد الغزالي: ١٦.

قال: قاتله الله ما أشعره، يا غلام أثبتا... فقلت أصلح الله الوزير إنه مع ذلك بمكان من الأدب، ولقد جالسته في مجالس كثيرة، قد ضمت ذوي فنون من الأدباء والعلماء، فما تجاروا في شيء من فنونهم إلا جاراهم فيه ثم برز عليهم وهو من الشعر بالمحل الذي قد علمته...) (٢).

ويشير الخبر السابق إلى أن الأصمعي كان معجبا بشعر أبي نواس، وفي النص إشارة إلى أنه قد حكم على شعر أبي نواس حكماً فنياً، فقدم أسلوبه على كثير من الشعراء أقرانه. وهكذا نرى أن الأصمعي لم يقف موقف سلبياً من شعر المحدثين، وإنما اتخذ الجودة معياراً فنياً في الحكم على أشعارهم ومن ثم تفضيلهم. وابن الأعرابي الذي روي له ازدراؤه شعر المحدثين، فإنه كان على صلة بشعرهم، بل إنه قدم أبياتاً للشاعر أبي نواس في المديح على كل أشعار المحدثين إذ قال: أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس:

أخذت بحبلٍ من حبال محمدٍ أمِنْتُ به من طارقِ الحدَثَانِ

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيامُ عني ما دَرَت وأين مكاني ما عرفنَ مكاني(٣)

هذه نماذج نقدية لقدامى النقاد، تثبت أن النصوص القليلة التي تمسك بها المعنيون المعاصرون لم تشكل قراءة دقيقة لمواقفهم، وإنما كانت قراءة تقوم على التعميم والمبالغة في تصوير تعصب النقاد القدماء للشعر القديم ورفضهم الشعر المحدث. وهذا لا ينفي عناية قدامى النقاد بالشعر الجاهلي وحرصهم عليه، وهم يقصدون قضية الاحتجاج اللغوي، كي يفهم المفسرون ما يشكل عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وأساليبه، والاحتجاج في الوقت نفسه (لا يتناول جودة الشعر أو رداءته، ولا موضوعه، بل ينصرف إلى سلامة السليقة، وصحة الطبع) (٤).

وهكذا نرى من خلال ما تقدم من نصوص نقدية أن أبا عمرو بن العلاء لم يتوقف عند أشعار الجاهليين في الرواية والنقد وإنما تجاوز ذلك إلى أشعار الإسلاميين، بل قدم أول الشعراء المحدثين ورأسهم بشار بن برد في غرض الغزل على كل الشعراء.

إلا أننا نجد الدكتور طه حسين يصف مجموعة النقاد والأدباء الذين نوهوا بأبي نواس وقدَّروا فنه بأنهم لم يكونوا يعلمون السبب في تفضيلهم للشاعر الثائر، وهذا تفسير غريب لا بل هو ذروة الهرب من مواجهة الحقائق. ولهذا فان الدكتور طه حسين لم يقدم لنا حلولاً لهذه القضية إنما أصبح الأمر أكثر تعقيدا.

---

(١) ديوان ابي نواس: ١٧.
(٢) ينظر: طبقات الشعراء: ٢١٥-٢١٧.
(٣) زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق بن علي الحصري القيرواني، ضبط وشرح د. زكي مبارك، دار الجيل، ط٤: ١١٦٠. وينظر ديوان ابي نواس: ٤٦٩.
(٤) فحولة الشعراء عند الأصمعي، د. عبد الكريم محمد حسين، دمشق، دار كنان، ط١: ٩٣.

أما طه احمد إبراهيم الذي يمكن أن نجمل موقفه من هذه القضية، فقد أكد دور قدامى النقاد في تدعيم قواعد النقد إبان مرحلة النشأة والاستواء، كما أن القدماء كانوا يفضلون الشعر القديم - الجاهلي والإسلامي – على الشعر المحدث وذلك على أساس التقدم الزمني وهو يستغل في ذلك بعض عبارات القدماء حين وصف أبا عمرو بن العلاء بأنه كان يُقيم الموازنة على أساس العصر لا على الشعر، كما كان يُعد سبب التفضيل يعود إلى أسباب لغوية لا إلى أسباب فنية(١).

إذ يرى الدكتور عبد الحكيم راضي أن طه احمد إبراهيم كان (يحمل اللغويين مسئولية رفض الشعر المحدث والحض على تيار الاتباعية أو السير على منوال القديم ولا يقبلون من الحديث إلا ما كان قريبا من ذوق القدماء، وهذا استنتاج منطقي) (٢).

فإذا كانت مسؤولية رفض الحديث تقع على اللغويين، وأنهم لا يقبلون منه إلا ما كان متماشياً مع الذوق القديم فلماذا رفض أولئك اللغويون الاحتجاج بأشعار البعض ممن تمتعوا بصفة التقدم الزمني.

كما يعدُّ طه احمد إبراهيم دعوة أبي نواس (الثورة الوحيدة على أصول الفن الشعري في كل عصور الأدب العربي) (٣).

ولهذا يرى الدكتور عبد الحكيم راضي ان طه احمد إبراهيم لم يقدم لنا تفسيراً واضحاً لسبب مهاجمة اللغويين للشعر الحديث أو رفضه، إذ يقول في هذا التصور: (يكتفي المؤلف – طه إبراهيم – بموقف المتعجب من تفضيل لغوي كالأصمعي للشاعر بشار بن برد على معاصره مروان بن أبي حفصة، في الرواية التي تقول: إن الأصمعي كان يفضل بشار على مروان، مع أن الأخير كان أقرب إلى طريق القدماء من بشار، بل يذكرون من مبررات تفضيل الأصمعي لبشار، تجديد بشار وعدم سيره على مذهب الأوائل) (٤).

وهذا يدل على أن الأمر لو كان مجرد تفضيل القديم على الحديث لفضل الأصمعي مروان على بشار، إلا أننا نجد طه احمد إبراهيم لم يقدم تفسيرا لذلك.

أما أحمد آمين فنجده يقول:(أن الشعر الأموي والشعر العباسي استمراً على نفس النمط الجاهلي،ويعود السبب في ذلك إلى أعجاب أنصار القديم بالأدب الجاهلي والتعصب لهُ ومهاجمتهم للشعر الحديث، وانتهاء النزاع إلى انتصار أنصار القديم وسيادة النمط الجاهلي في الشعر العربي، وكان يتزعم أنصار القديم اللغويون أمثال أبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبن الإعرابي، كما يعود سبب الانتصار كونهم قد صبغوا دعوتهم

---

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: طه إبراهيم: ٩٨-٩٩.
(٢) النقد العربي وشعر المحدثين : ٥١.
(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: طه إبراهيم: ١٠٣.
(٤) النقد العربي وشعر المحدثين في العصر العباسي: ٥٢.

بصبغة دينية مستمدة من الاعتماد في تفسير القرآن وشرح مفرداته، كما نجده يقول « أن دعوة أبن قتيبة إلى عدم الخروج على النهج التقليدي للقصيدة كان ذروة انتصار القديم»)[١].

وقد ناقش الدكتور أحمد آمين دعوة أبن قتيبة هذه في الجزء الثاني من كتابه (النقد الأدبي) وقال: (أن ابن قتيبة صاحب الفضل الأول في تسخيف الرأي الذي يقدم القديم لقدمه ويرفض الحديث لحداثته) [٢].

إلا أننا نجد في هذا الموقف والموقف السابق تناقضاً واضحاً، ولهذا ينتهي الدكتور عبد الحكيم راضي إلى: (ان السبب الحقيقي في هذا التناقض هو الفكرة الشائعة عن تعصب قدامى النقاد ضد الشعر الحديث مما جعل الدارسين يتغافلون عما يخالف هذه الفكرة) [٣].

أما خلاصة ما ذهب إليه الدكتور محمد مندور في رأي الدكتور عبد الحكيم راضي فهي أن هناك فريقاً من متقدمي اللغويين النقاد قاوم الشعر الحديث وفضل عليه الشعر القديم وتعصب له على أساس زمني ولغوي، كما أنه يذهب إلى أن الشعر العربي في القرنيين الثاني والثالث جرت فيه محاولتان للتجديد إحداهما دعوة أبي نواس والأخرى مذهب أبي تمام، وقامت الأولى على تجديد ديباجة القصيدة، أما الثانية فقامت على التجديد في الصياغة،...، كما يذهب إلى أن المحاولة الأولى لم تتعرض للهجوم، بينما تعرضت المحاولة الثانية للهجوم ودارت حولها الخصومة بين القديم والحديث، ويذهب إلى أن سبب عدم المهاجمة يعود إلى طبيعة الدعوة نفسها فهي لا تمتلك الأسباب الفنية الحقيقية كما أن صاحبها غير مخلص لها[٤].

ويعلق الدكتور عبد الحكيم راضي على آراء الدكتور محمد مندور في هذه القضية، يعتقد الدكتور بوجود التعصب للقديم ضد الشعر المحدث من قبل الرواة واللغويين لأنه عدتهم في الاستشهاد اللغوي، كما أن التعصب للقديم من جانب اللغويين كأبي عمرو بن العلاء وغيره لا يقوم على أسباب فنية من صدق الإحساس أو جودة العبارة وإنما كان لمجرد السبق الزمني[٥].

ثم يعود الدكتور محمد مندور ويصف لنا الخصومة بين أنصار القديم ويمثلهم بأنصار البحتري وبين المحدثين ويمثلهم بأنصار أبي تمام، ويقول عنها أنها خصومه على أساس فني[٦].

ويرد الدكتور عبد الحكيم راضي بالقول: (نحن نعلم أن كثيرين من خصوم أبي تمام كانوا ممن سموا بأنصار الذوق القديم أو مفضلي الذوق القديم في الصياغة، ولهذا كيف يمكن أن يكون رفض الشعر المحدث من اللغويين الذين عاشوا في الثلث الأول من القرن

---

(١) ينظر: جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي: ٣٥.
(٢) النقد الأدبي: أحمد آمين: ج٢ / ٥٠.
(٣) النقد العربي وشعر المحدثين: ٥٤.
(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٥٤-٥٥.
(٥) المصدر نفسه: ٥٥.
(٦) ينظر:النقد المنهجي: محمد مندور.٨٠

الثالث مثل أبن الأعرابي على أسس غير فنية، فكيف تحولت خصومتهم أو خصومة تلاميذهم لشعر أبي تمام إلى خصومة فنية) (١).

فهذا مما يؤدي إلى تناقض الدكتور محمد مندور مع نفسه حين يصرح من ناحية بأن تعصب اللغويين القدماء للقديم لم يكن على أسس فنية، مستشهداً بكلام ابن الإعرابي بالذات في الطعن على شعر ابي تمام، ثم يصرح من ناحية أخرى بان الخصومة حول شعر أبي تمام كانت ذات طبيعة فنية.

إن كلام الدكتور محمد مندور يبدو في غاية الاضطراب، في رأي الدكتور عبد الحكيم راضي فهو يرتب على الخصائص التي جعلها من سمات دعوة أبي نواس ومذهبه عدم قيام خصومة أو حركة نقدية حوله، وبهذا يسلم ضمنا بعدد من الخصائص اتسم بها مذهب أبي تمام وأستحق بها أن تقوم حوله حركة نقدية وخصومة بين القدماء والمحدثين(٢).

كما يضيف الدكتور محمد مندور نفس السمة الخاصة التي جعلها عماد مذهب أبي تمام والتي كانت سبب الخصومة عنده و هي خاصية البديع والصياغة الجديدة، إلى أبي نواس أيضا وهذا شيء غريب.

ولهذا يقرر الدكتور عبد الحكيم راضي أن دراسة الدكتور محمد مندور لهذه القضية وهو التصور الذي يزيد في غموض الموقف وإقامة المشاكل(٣).

أما الدكتور شكري عياد فنجده قد تعقب موقف الرواة واللغويين من الشعر المحدث إذ يقرر أن عدم رواية الشعر المحدث يعود إلى أنه كان نتاج عصر اضطربت فيه اللغة و شاع اللحن، كما قرر أن القانون الذي أقره النقد العربي الخالص هو ضرورة أتباع القدماء، كما يقرر وقوع النقد العربي في تناقض خطير أساسه مطالبة الشعراء بالتقليد والابتكار في آن واحد(٤).

يثير الدكتور شكري عياد كما يقول الدكتور عبد الحكيم راضي نقطة ذات قيمة عالية وهي (شيوع اللحن واضطراب اللغة) (٥).

ويشير الدكتور عبد الحكيم راضي إلى نقطة مهمة و هي الزام الشعراء المحدثين بمنهج القصيدة القديمة التي عرض لها ابن قتيبة في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) فان هذا الإلزام لم يكن إلاّ في قصيدة المديح لا غير.

كما أن الدكتور عبد الحكيم راضي يقول إن هذه العبارة لا أثر لها على الإطلاق في ترجمته للشعراء ووجوه النقد التي أخذها عليهم(٦).

---

(١) النقد العربي وشعر المحدثين: ٥٦.
(٢) ينظر:النقد العربي وشعر المحدثين: ٥٦-٥٧.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٩-٦١٣.
(٥) النقد العربي وشعر المحدثين: ٥٩.
(٦) ينظر: النقد العربي وشعر المحدثين: ٦٠.

وهنا يطرح الدكتور عبد الحكيم راضي تساؤلاً مهماً هل كان مهاجمو أبي تمام من أنصار القديم؟

نجده يقول إذنا نقرأ نعيهم على إبي تمام تشبهه بالبدو، ومحاولة الاقتداء بالقدماء، فهناك من يرى أن البحتري كان أكثر انفكاكاً من القديم من أبي تمام وبالتالي تهتز صورة الحوار بين أنصار الشاعرين كما اعتدنا أن نستقبلها، فليست صورة نزاع بين قدماء ومحدثين، خاصة أن معيار التقديم والتأخير الزمني غير موجود في هذه الحالة[١].

أما الدكتور عبد القادر القط فقد تحدث عن هذه القضية وقال أن: (الشعراء في عصر أبي نواس كانوا قد تخلصوا إلى حد كبير من المطالع التقليدية، كما نجده لا يعتبر سخرية أبي نواس من المطالع التقليدية ثورة على القيم الشعرية، كما يعتبر الخصومة بين القديم والحديث قد تمثلت في المعركة بين أبي تمام والبحتري) [٢].

وبهذا التصور يتفق الدكتور عبد القادر القط مع الدكتور شوقي ضيف كما ذكرنا سابقا بان تيار التجديد كان عاماً ولم يقتصر على أبي نواس.

يقول الدكتور عبد الحكيم راضي معلقاً على كلام الدكتور عبد القادر القط

إن إسقاط صفة الدعوة الفنية إلى التجديد عن حركة أبي نواس ووصفها بأنها كانت مجرد دعوة إلى نوع من السلوك الخلقي، الذي لم يكن يرضى عنه كثير من معاصريه... لما وجدنا لهم أثراً تقريبا ابتداء من الخليفة إلى أكثر رجال الدين تزمتا، وما يروى عن عقاب الخلفاء لأبي نواس على وصف الخمر ليس إلا ضربا من الرغبة في الظهور أمام الرعية بمظهر الحزم والوقار، وإذ انعدم الدافع إلى إعلان أبي نواس لمذهبه في الخمر ودفاعه عنه كلون من السلوك ففي هذه الحالة ينتفي ما وصف به القط دعوة أبي نواس من أنها دعوة إلى لون من السلوك الخلقي[٣].

ويؤكد الدكتور عبد الحكيم راضي رفضه لهذا القول بأن السبب في عدم مهاجمة أنصار القديم لدعوة أبي نواس أنها لم تحو تجديداً حقيقياً، ومن الثابت أن النقاد القدامى أحسوا بأن أبا نواس قد ابتدع شيئا ولكنهم لم يستنكروه[٤].

وقد تتبع الدكتور عبد الحكيم راضي أقوال الدكتور عبد القادر القط ووجد ان هناك تناقضاً أو اختلافاً في الرأي ففي بعض المواضع يثير الدكتور عبد القادر القط على « أن الخلاف بين أبي تمام ومن سبقه من الشعراء، لا ينحصر في توسعه في البديع، بقدر ما كان خلافاً في كيفيه الاستخدام لألوان البديع »[٥].

كما نجده يقرر في مواضع أخرى «أن الاختلاف بين الشاعرين كان في الدرجة لا في الكيف»[٦] ، والواقع أنه لو كان كذلك لما كان يمكن أن يؤدي إلى خصومه على

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٦١.
(٢) حركات التجديد: عبد القادر القط: ٣٥.
(٣) ينظر: النقد العربي وشعر المحدثين: ٦٢-٦٣.
(٤) المصدر نفسه: ٦٣.
(٥) ينظر: النقد العربي وشعر المحدثين:
(٦) النقد العربي وشعر المحدثين: ٦٣.

نحو ما حدث، لا سيما أن أنصار الشاعرين حذفوا مسألة استخدام البديع من دواعي الخصومة، أنما أخذوا على أبي تمام سوء الاستخدام للغة، و هو وأن كان نتيجة للإفراط في البديع فإن هناك من أفرطوا في البديع من دون أن يسيئوا إلى اللغة أساءه أبي تمام وبالتالي لم يتعرضوا للهجوم(١).

أما الدكتور محمد مصطفى هدارة فنجده مقتنعاً تمام الاقتناع برفض اللغويين والرواة في القرنين الثاني والثالث للشعر الحديث، ثم نجده يقرر أن هذا الرفض من قبل اللغويين للشعر الحديث كان مبنياً على أساس فني مثل عمود الشعر و قضية اللفظ والمعنى(٢).

ويسجل الدكتور عبد الحكيم راضي رأيه بهذا الخصوص فمع (أذنا لا نؤيد رأي المؤلف فيما ذهب إليه من رفض أولئك النقاد للشعر الحديث عامة، فأذنا نسجل أن كلامه يبدو منطقيا بالنسبة لكلام الدكتور محمد مندور الذي جعل رفض الرواة واللغويين للشعر الحديث مجرد تعصب لا يقوم على أساس فني، ثم نجده يرتب على ذلك الرفض نتيجة ذات طابع فني هي محاولة الشعراء إرضاء تلك الطائفة من النقاد بالجري في ركاب الشعر القديم في أسلوبه وبنائه الفني) (٣).

ومن كل ما تقدم يمكن القول إن من الطبيعي أن يختلف قدامى النقاد قرباً وبعداً حول هذا الجديد، ولكن الإشكالية تبدو في مواقف المهتمين المعاصرين أصحاب الدراسات الحديثة الذين ضخموا هذا الاختلاف بين قدامى النقاد والجديد من الشعر، كما ذكرنا سابقا، لا بل أوصلوا الصراع إلى درجة القطيعة بين النقاد واللغويين والشعر المحدث.

ويبدو أنَّ الدكتور عبد الحكيم راضي قد عالج هذه القضية في أول عمل خطه قلمه على طريق البحث في الباب الأول من رسالته للماجستير وعنوانه (موقف النقد العربي من شعر المحدثين ومحاولات التجديد) (٤).

واصفاً موقف النقد العربي من شعر المحدثين بأنه (قضية قديمة جديدة، قديمة لأن في تراثنا العربي ما يبعث على التساؤل حولها، وجديدة لأن الدارسين في العصر الحديث قد وقفوا عند هذه البواعث، وكثير منهم أطال الوقوف دون أن يتبين الحقيقة، فقالوا فيها بغير ما هي عليه) (٥).

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣ -٦٤.
(٢) ينظر: مشكلة السرقات الشعرية: مصطفى هدارة: ٢١٢-٢١٤.
(٣) النقد العربي وشعر المحدثين: ٦٤.
(٤) ينظر: فكرة الابتكار في النقد العربي: عبد الحكيم راضي. الباب الأول.
(٥) النقد العربي وشعر المحدثين: ٥.

ولا شك ان هذا النص بكلماته الموجزة يكشف عن منهج ارتضاه الدكتور عبد الحكيم راضي لنفسه في أولى خطواته مع البحث العلمي و هو: أهمية إعادة النظر في توجيهات الدارسين المعاصرين وعدم التسليم بها مباشرة دون الرجوع إلى ما أقره السابقون حولها، فضلاً عن أن هذه القراءة لكتب السابقين يجب أن تكون قراءة حرة غير خاضعة لنتائج مسبقة تعوقها عن مغزاها الصحيح، الأمر الذي يعلن عن نفسه ليس في هذا الموضع فقط بل في معظم

مؤلفات الدكتور عبد الحكيم التي تصدر كما لو أنها قد جاءت لتعالج موضوعاً جديداً أو حقلاً بكراً لم يسلكه غيره أو بعبارة أخرى سلكه غيره دون أن يتبين حقيقة موضوعه ولا مغزى مبدعه منه.

هذا الأمر الذي ينعكس أثره على معالجته لهذه القضية من خلال كتابه النقد العربي وشعر المحدثين، الذي يظهر دوره الرائد في تصحيح ما يشبه الإجماع حول فكرة تعصب النقاد القدامى ضد الشعراء المحدثين، هذه الفكرة التي تكشفت لمبدعها في هذه المرحلة المبكرة من حياته العلمية فراح يفتش عنها في بطون التراث ينادي على نصوصه ويحركها حركة لا تخضع في ظاهرها أو باطنها إلا لسياقها ومغزى أصحابها منها.

بهذا فحديث الدكتور عبد الحكيم راضي عن فكرة نفي تعصب النقاد القدامى ضد الشعراء المحدثين حديث ممتد لتلك القضية المألوفة في النقد العربي و هي قضية القدماء والمحدثين، هذه القضية التي شغلت حيزاً كبيراً في النقد العربي قديمه وحديثه فقيل فيها بغير ما هي عليه، ولكنها ظهرت على حقيقتها على حسب علمي بعد أن تناولها الدكتور عبد الحكيم راضي لها فخرجت من دائرة المألوف غير الصحيح إلى دائرة المألوف الصحيح المطلوب إثباته والتدليل عليه.